النّشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله 1947- 1960م.

د. مصطفى عبيد*

مقدمة: يمكن أن نفتتح مقدمتنا هذه بمقولة الشيخ عبد الرزاق قسوم الذي عرف الأستاذ الدكتور أبا القاسم سعد الله عن قرب، وعايشه مدة طويلة حيث قال: "سعد الله ليس كأحد من العلماء وليس كأحد من الناس لأنه كان العالم الزاهد الذي قدّم مصلحة وطنه ومصلحة شعبه قبل أي مصلحة شخصية"[1]، من أجل ذلك حاولنا أن نساهم بهذه المقالة من أجل التعريف أكثر بحياة سعد الله النضالية، وثوريته من أجل وطنه وأبناء شعبه مذ كان طالبا في تونس وكذلك بمصر. أي تناولنا الفترة الممتدة من1947 وإلى غاية 1960م، وقد منعنا من استكمال نشاطه الثوري الباقي ضيق المجال المخصص لمثل هذه المقالات. ولكننا نطمع أن يكون لذلك مكان آخر سنضيف فيه ما لم يذكر الآن وما نرى- من خلاله- أننا قدمنا ولو القليل في حق هذا الشخص المدرسة والمؤسسة الفعالة في حد ذاته.

حاولنا قدر الإمكان حصر الإشكالية في نشاط سعد الله النضالي سواء في تونس أو بمصر دون إهمال ما يوضح المعنى ويضع القارئ في الصورة، أي مما تعلق بنشأة سعد الله وتكوينه، وذلك من خلال إشكالية واضحة هي: ما النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله خلال الفترة المدروسة 1947-1960م؟ إشكالية تمثلت تساؤلات في: كيف نشأ سعد الله وما مؤثرات ذلك فيه؟ وما هي النشاطات الثورية التي قام بها الطالب سعد الله سواء كطالب منفرد أو كمسؤول عن جمعيات الطلبة بتونس ومصر؟ وماذا قدم للثورة الجزائرية من تضحيات؟ وكيف جعل الطلبة الجزائريين والعرب، وكذا المسؤولين السياسيين الذين التقاهم، والمجلات والصحف الجزائرية والعربية، ومحطات الإذاعة، والندوات والمؤتمرات الطلابية...في خدمة الثورة والتعريف بالقضية الجزائرية وتدويلها؟

*- أستاذ مساعد أ في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

مولد أبي القاسم سعد الله ونشأته: ولد بلقاسم- بثلاثة نقاط على حرف القاف- سعد الله كما يقول عن نفسه بقرية البدوع المجاورة لمدينة قمار بوادي سوف، وهو أول إخوته لأمه، وكان مولده في صيف حار وهي الخصائص الطبيعية للقرية والجنوب الجزائري عامة، حوالي سنة 1930 أو 1931م، ولم يعرف أبو القاسم تاريخ مولده بالضبط على عادة الناس آنذاك، حيث لم يتم تسجيل الأبناء في سجلات الحالة المدنية، وهي الأسلوب الجديد الذي أدخلته الإدارة الفرنسية بالجزائر سنة 1882م، ووصل تدريجيا باتجاه الجنوب الجزائري، حتى عمّ الجزائر مع الحرب العالمية الأولى تقريبا، أما الإدارة الفرنسية فقد سجلت مولده بتاريخ 1927م[2].

عاش أبو القاسم حياة الصحراء بما فيها من شظف العيش وطيبة السريرة وحسن الخلق، ورحابة الصدر...؛ فخالط الفلاحين وكان منهم، وكانت أسرته التي ينتمي إليها من الأب أحمد والأم لعبيدية هالي وإخوته وأخواته معروفة عند أهل المنطقة باسم أولاد علي بن مسعودة المنحدرة من عرشين كبيرين بالمنطقة، وهما عرش أولاد عبد القادر من جهة الأب، وعرش أولاد بوعافية من جهة الأم، وأسرة سعد الله هذه كانت من بين الأسر التي ابتدعت البدوع، والتي تعني غراسة الأرض بالنخيل، حيث عذوبة الماء وقربه من سطح الأرض، وقد عاش الأب أحمد وأبناؤه الفقر الشديد تحت السياسة الاستعمارية وثلاثيها الأسود (الجهل، والفقر، والمرض).

وقد قال الشيخ أبو القاسم عن نفسه التي تكلم عنها بضمير الغائب مقتا للأنانية: "كان عند خروجه إلى الدنيا (يقصد أبا القاسم نفسه) وطاؤه الأرض وغطاؤه السماء"، كما قال أيضا: "وكان أهله من أوائل الفلاحين الذين ابتدعوا (البدوع) فغمروها بغراسة النخيل لعذوبة مائها، ولكنهم يذكرون أيضا أنهم عند ميلاده (أبو القاسم) كانوا لا يفترشون سوى الرمال ولا تظلهم غير سقائف من جريد النخل"، ومن شدة الفقر هذه، كان وإخوته يقتاتون على خمس تمرات للفرد الواحد يوميا، أما اللباس فكان الثوب يبلى ويقصر، ويتركه الأخ لأخيه والأخت لأختها، وهكذا عادة الجزائريين كلهم آنذاك، إلا بعض القلة من التجار وأصحاب رأس المال أو من دخل في خدمة الإدارة الفرنسية على حساب شعبه وقومه وبلده.

وفي هذا قال الشيخ أبو القاسم سعد الله: "...أتذكر مثلا أن الناس عندنا كانوا يتناولون أوراقا من النباتات الجافة عوض نبتة الشاي وكأني بهم يتخيلونها شايا، وكنا نأكل في اليوم تمرات معدودات، لكل واحد منا خمس حبات حتى لا نموت جوعا، والوالد (رحمه الله) هو من كان يقنّن

هذا الأمر، وكنّا لا نلبس جديدا، الكبير منا يترك لباسه للأصغر منه، وهكذا، أي أن الألبسة الواحدة كان يتداولها الأولاد، أذكر أيضا أن أول قميص ارتديته لم يكن جديدا لأنه كان لباسا عسكريا بلون "كاكي" من مخلفات الحرب العالمية الثانية اشتراه لي والدي مكافأة على ختم القرآن الكريم"[3].

دراسته بمسقط رأسه وبتونس: كعادة الناس بالجزائر وبعموم البلاد العربية والإسلامية كانت أول وجهة مدرسية للتلميذ بلقاسم هي الجامع؛ فدخل الجامع القبلي بالبدوع في سن الخامسة من عمره أي حوالي 1936م، وكان الأب أحمد وعائلته ومقربوه ينتمون إلى الحركة الإصلاحية، ومتأثرين بها. حفظ بلقاسم القرآن الكريم وأقام له والده تكريمين، كان التكريم الأول معنويا وهو ذبح كبشين، وجمع الناس في حفل بهيج، تسامر فيه الناس على القرآن والأخلاق و"القصيد"، وهو ترديد القصائد والمدائح الدينية، أما التكريم الثاني فكان ماديا وهو شراء اللباس المذكور سابقا، وهو أول قميص يلبسه بلقاسم.

حفظ بلقاسم إذا القرآن الكريم حوالي سنة 1944م، ولو بدون أحكام كما وصف ذلك مرة، وذلك على عهد شيخه المعلم: أبو القاسم بن البرية. وكرّر حفظه ثلاث مرات، ترسيخا له، وتقليدا للسابقين. وصلى بالناس التراويح سنتين متتاليتين 1944-1946م، وكان التأخر في الحفظ بسبب عدم استقرار المعلمين بمنطقة البدوع إلى أن استقر بها المعلمان ابن البرية والشيخ الزبيري مع سنة 1941 أو 1942. ثم حاول الالتحاق بتونس خلال سنة 1946 لكن قلة المادة منعته من ذلك. فأجل الأمر إلى فرصة أخرى، وبدأ في استكمال حفظ المتون سنة أخرى، حتى تمكن من الالتحاق بالزيتونة، تأثرا بالحركة الإصلاحية عموما، وبأسرته خصوصا. حيث كان ذاك هو طموح والداه خصوصا الأم.

انتقل التلميذ بلقاسم إلى تونس سنة 1947 والتحق بالزيتونة[4] من أجل مواصلة دراسته، وهو ذو المستوى البسيط، على حد تعبيره، الذي لم يؤهله لأكثر من التسجيل في السنة الأولى رغم أن بعض زملائه استطاعوا، بفضل الله ثم بمستواهم، التسجيل في السنة الثانية أو حتى الثالثة. ودرس الفقه والأصول والتوحيد والنحو والصرف والفيزياء والكيمياء والحساب (الرياضيات)... ولأول مرة كان تمدرسه بأسلوب حداثي حيث استعملت فيه السبورة بدل حِلَقِ الذِّكر. أما شيوخه هنا بالزيتونة فكان أبرزهم الشيخ علي الأصرم الذي خاطبه مرة قائلا:"إنني فخور بك يا سعد"،

وكذلك الشيوخ: مصطفى المؤدب، والصادق بسيس والمختار الوزير... وقد ختم أبو القاسم دراسته بالزيتونة بحصوله على شهادة التحصيل سنة 1954 في المركز الثاني على دفعته، مما يبين التطور الكبير الذي حصل فيه بفعل حيويته ودأبته واجتهاده ووعيه وقد تحصل التلميذ بلقاسم من الزيتونة على شهادة التحصيل سنة 1954. كان فكره ومستواه العلمي قد تطورا كثيرا، فأصبح أديبا ناقدا مشاركا في هموم الأمة، ومتزعما للطلبة بإصرار من بعض قادة الحركة الوطنية كما يمر معنا.

من أسباب عزوف أبي القاسم سعد الله عن المناصب منذ كان طالبا: المعروف عن الأستاذ أبي القاسم سعد الله أنه كان يعمل جهده من أجل الابتعاد عن المناصب السياسية كما سيمر معنا، وله في ذلك أسباب كثيرة نترك القارئ يستشف هنا بعضها، مع بعض أسرار الشيخ سعد الله في البحث، والتزامه به وتفضيله إياه عن كل المناصب والعروض منذ كان طالبا وإلى زمن متأخر من حياته. حيث قال أبو القاسم سعد الله: "أنا مدين لامرأتين في حياتي: أمي وزوجتي. وقفت والدتي ورائي في حفظ القرآن الكريم في جامع البدوع بقمار، ثم الدراسة في جامع الزيتونة بتونس، أسوة بأخيها (خالي) لأكون مثله عالما محترما، معتقدة أن الله قد فتح عليها "القدري" (ليلة القدر)، وأنا طفل، فلم تطلب من الله شيئا غير العلم الشريف. وهي التي رسخت فيّ هذه الفكرة، حتى عشت بها كل حياتي، معتقدا في قرارة نفسي أنني رجل "قدري"، وأن الله قد اختارني لمهمة وهي خدمة العلم الشريف (الدراسة والبحث)، وأنني لم أخلق لغير هذه المهمة. وقد طغت عليّ هذه الفكرة، حتى إذا حدثتني نفسي بتغيير مساري، راودني (القدري)، وحضرت أمامي والدتي وصورتها فأعود إلى مساري وقدري". ثم كانت شريكة حياتي (أم أحمد) فقد فهمت طبيعتي وطموحي، وحدود حركاتي، فساعدتني بما تعرف وما تملك، أولا بتوفير شروط العمل، رغم صعوبات المحيط الذي عشنا فيه. وثانيا بإعانتي بشتى الوسائل وإبداء الرأي أحيانا فيما أكتب، فهي صاحبة رأي حصيف، وثقافة واسعة. وكان تفرغي لأبحاثي وكثرة أسفاري يحرمانها دائما من بعض حقوقها، ومع ذلك كانت تقبل ذلك بكل رضى وطيب خاطر، وتشجعني على مواجهة الصعاب في سبيل هدفي النبيل"[5].

وإضافة إلى هاتين المرأتين الصالحتين كان لأبيه الفضل الكبير ولخاله حفناوي هالي، وكذلك للشيخ محمد الطاهر التليلي زوج خالته أيضا. ولا شك أن الملاحظة البارزة هنا، هي أن والديه قد

نذراه للعلم (كما قال هو شخصيا)، ولذا لم يجبرانه على قطع مواصلة دراسته، كما فعلا مع إخوته، وكما كانت عادة القوم آنذاك. والمعروف أن الله سبحانه وتعالى يصطفي لكل أمر أحسن الناس فيه. مصداقا لقوله تعالى:" اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالاتِه" (الأنعام- 124)، وكذلك قوله تعالى:" اللهُ يصطفي من الملائكةِ رسلاً ومن الناس" (الحج- 75)[6].

بداية النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله: رغم أن سعد الله كان يرفض المناصب السياسية إلا أنه من أجل خدمة الثورة سواء بالتوعية قبل اندلاعها أو بنصرتها بعد ذلك فقد كان كثير النشاط. وتعود بداية نشاطاته الثورية في حقيقة الأمر إلى يوم انكبّ- بتونس- على المطالعة والاجتهاد حتى أصبح له قلم سيّال، ولسان حاد في الجهر بكلمة الحق. وصار معروفا بمقالاته الموقعة باسمه تارة، وباسم الناقد الصغير مرات أخرى، وكان يرفق اسمه أحيانا بعبارة (عضو رابطة القلم الجديد). ومن أهمها، نقده لأحمد رضا حوحو في "مع حمار الحكيم" تحت عنوان (في ظلال الأدب). الذي جعل حوحو يرد عليه تحت عنوان (في ضلال الأدب). وقد ظل أبو القاسم سعد الله معتزا بهذا الرد طوال حياته حيث كان دائم القول: "أحس بسعادة كبيرة حين أتذكر رد الشهيد رضا حوحو على انتقاداتي الأدبية له وأنا لا أزال طالبا شاديا (مبتدئا) في الأدب والنقد الأدبي. فكيف لمثله أن يرد عن مثلي. كما كان يحرج جريدة البصائر أحيانا، حين ينشر فيها أشعاره الثورية قبل اندلاع الثورة. مما يجعل هيئة تحرير الجريدة تضطر إلى حذف عبارات بأكملها، أو تغير لفظا بلفظ تخفيفا لوطأة الألفاظ على الإدارة الفرنسية،[7] مما يلحق الضرر بالجريدة، وربما به شخصيا. كما كان يكتب أيضا في الجرائد التونسية ومنها الزهراء والحاضرة والرائد والأسبوع[8]، وشارك مع الحركة الطلابية التونسية في كثير من المظاهرات التي كان يدعو إليها الحزب الحر الدستوري الجديد الذي كان يقوده الحبيب بورقيبة منذ تأسيسه سنة 1934 خلال مؤتمر قصر الهلال، كما أسس رابطة القلم الجديد، وهي رابطة أدبية تقليدا للرابطة القلمية المعروفة. كما كان يقرض الشعر، ويكتب القصة أيضا.

وفي سنة 1952م عيّن المرحوم الشهيد العربي التبسي أبا القاسم سعد الله رئيسا للبعثة الزيتونية في تونس[9]، رغم أنه لم يكن من طلبة معهد عبد الحميد بن باديس[10]، ورغم رفضه إلا أن العربي التبسي أصر عليه من أجل قبول المهمة فقبلها مرغما.[11] ورغم أنه ترأسها إلى غاية ايجاد بديل له إلا ان استمر على رأسها إلى غاية تخرجه سنة 1954م[12]، وذلك ما يدل على رضى قادة الجمعية على

نشاطه. وقام بها أحسن قيام كما يقول معاصروه هناك. ومن نشاطاته بالبعثة أنه كان يستقبل ويودع الطلبة الجزائريين القادمين إلى تونس أم الخارجين في مهام علمية من طرف معهد عبد الحميد بن باديس إلى تونس أو إلى المشرق عموما مرورا بتونس بوابة الجزائر نحو المشرق العربي. ومن بين البعثات التي ودعها نجد البعثة التي اتجهت سنة 1953 إلى بغداد، وهي البعثة الثانية التي ترسلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من طلبة معهد عبد الحميد بن باديس إلى المشرق العربي[13]، "وكان من بين أعضائها الذين لا يزالون على قيد الحياة، شرحبيل والجموعي المشري، وممن توفي عبد العزيز خليفة وأبو العيد دودو. استقبلهم أبو القاسم سعد الله وودعهم وألقى عليهم خطبة بمطار العوينة بتونس كلها حث على الجد والاجتهاد"[14]، وكانت قصيدة شعرية بعنوان "نغم الوداع" ومما جاء فيها:

نغمة الشعر من أهازيج عودي ... مع نسيم الصبا ونفخ الخلود
ضحك الفجر فوقها فتدنت ... عبق الوحي من شفاه الورود
فإذا رمت أن تثوب شعاعا ... فالتمسها على ضفاف الوجود

إلى أن يقول:

نخبة العلم ذي مباهج عيدي ... ونشيد الرضي وفجر السعود
قد تبوأت عرش مجد تليد ... وتفيأت ظل عهد جديد
وكشفت الحجاب عنّا فحزت ... قصب السبق في غمار الجهود
ورأيت (الفرات) أعذب ماء ... فطلبت الغذاء قبل الورود
يا مجيبا بأرض (بغداد) إنّا ... قد شربنا الأسى ولفح الوقود
فاسقنا منهل العلوم شبابا ... وبقنا عند عرش مجد تليد
إننا نهدم الحياة ونبني ... شامخ المجد عن أساس وطيد
فنجد الباني المجد بأيد ... خالدات على الزمان شهود

وآخر بيت هو قوله:

وإذا وفق الإله رجالا ... أقبل الكون بالدعا والسجود[15]

ومن ثورية أبي القاسم سعد الله وهو بتونس وجدنا قصيدة معبرة عن تشوقه للثورة والخروج من دائرة أغلال الخوف، داعيا الشرق إلى التحرر من سيطرة الغرب مستبشرا بنصر وفتح قريب، وذلك ما جاء في قصيدته "الشرق" التي كتبها سنة 1953م، ومما جاء فيها:

قيد الظفر رايتي وجنـــودي *** واستساغ الحسام هام الحســود
أضرم العزم كهرباء ضلوعي *** بيد أن النضار سر الكبـــود
طعنات الزمان في كل خصم *** وفخار الزمان شم فنـــودي
أينما كنت تنتظر بند نصري *** أنظر الأفق فالنجود بنـــودي
وإذا شئت ان ترى نجم سعدي *** فانظر الأفق هل ترى من سعود
لا يزال الجهاد وحي سمـــو *** وجلال النهى وثمر جهـــودي
هذه يقظتي ونهضة مجـــدي *** فلقد طال في الزمـــان رقودي
يخمد الجمر تحت رهـــج رماد *** وتظل الحياة روح الخمـــود
إن تجدني اخوضها مستخفـــا *** لا أبالي بكل (غرب) حقـــود
جنب الخوف والتعجب منـــي *** فاحتقار الصراع طبع الأســود
جنب الخوف والتعجـــب مني *** هذه وثبة الرصاص السديـــد
قد ترى البحر ساكنا وهو موت *** مستخفا بكل ما في الوجـــود
وترى الموج كالحياة اضطرابا *** وترى النفس كالشعاع الرشيد
إن ليل السحاب أدجن ليـــل *** غير ان البروق سخط الرعود

إلى قوله:

قد شربتم من الدنان دهاقا *** فاشربوا- الآن- من مواضي الغمود
فلقد رجـــت العروبة رجا *** كالبراكين بالصفي الصلـــــود
وإذا أيقظ الإله شعوبـــا *** جابه الكون صبحها بالسجـــود[16]

ومن قصائد سعد الله الثورية التي نشرتها له جريدة البصائر نجد قصيدة "غيوم" التي أهداها إلى عشاق الدم، وهو إهداء واضح ولا يحتاج منا إلى أي تعليق عن ثوريته من جهة، وتنبئه باقتراب اندلاع الثورة التحريرية، ومما جاء فيها:

سوف نغدو كالحياة

عبر هاتيك الحقول

نطأ العشب النـــديا

وسوانا في ذهول

إنمـــــا هي غيوم

مثل أشباح السكون

تلهم الأقـــدار فيها

كل عقـــل وجنون

كلها- حتما- ستغدو

كالهشيـــــــم للفناء

في احتفـــال خضب

الحق يديـــه بالدماء

واشترى الخـــلد إليه

عن تسابيـــح الوجود

هامة الطغيان سكرى

برصاص الحـــريات

فتهاوت للجحـــــــيم

ثورة الحلق الغصوب

وانتصـــــار الكائنات

مهبط الوحي الإلـــهي

وشعاعـــــات الخلود

أمة العرب جميـــــعا

قد تنادت بالكفـــــاح

وانتشى الوعي لديها

بتباشير الصبـــــاح

فغدت تبعث روحا

في الشباب لتحقق
أمل الأوطان فيهم
بدماء تتدفـــــق.
آمن الأحرار منها
برسالات الـــوطن
فتنادوا كالهزيـــم:
ليس تفنـــى أمة
نضج العقل لديها
ولو احتج الرّدى
ولو انقض عليها
فلننشئ للخلـــود
ولتواجهنا المحن ...[17]

تواصل ثورية أبي القاسم سعد الله بالجزائر: عاد أبو القاسم سعد الله من تونس إلى الجزائر يوم 19 نوفمبر 1954، استقر بمدينة الجزائر وامتهن التعليم بها أولا بمدينة الحراش في مدرسة الثبات التي كان يديرها الشيخ الربيع بوشامة، قبل أن يلحّ عليه الشيخ فضلاء مدير مدرسة التهذيب بالعين الباردة بالأبيار وينتقل إليها في نهاية مارس 1955 حيث بقي بها إلى غاية نهاية الموسم في جوان من السنة نفسها. وجمع منها 100 ألف فرنك (كانت أجرته الشهرية بها 17 ألف فرنك). ثم فكر في الانتقال إلى المشرق لاستكمال دراسته، فاتجه إلى تونس لاستخراج جواز السفر وتمكن من ذلك بعد أن سجل في وكالة السياحة "الروضة للحج والسياحة"، وكان مديرها السيد نور الدين بن محمود وهو رئيس تحرير جريدة الأسبوع التي كان يكتب بها أبو القاسم قبل ذلك. وعاد أبو القاسم في شهر أوت- أيام هجومات الشمال القسنطيني الذي قاده زيغود يوسف- للمشاركة في مسابقة التوظيف (المناظرة) التي نظمتها جمعية العلماء لالتحاق المعلمين بمدارسها الحرة. وقد أشرف على المسابقة حينذاك الشيخ إبراهيم مزهودي. وقبل ظهور نتائجها، وصلته برقية من تونس تخبره بأن جواز سفره قد أصبح جاهزا. فالتحق بتونس ومنها إلى مصر[18].

وكانت قصيدة "مواكب النسور" هي أول قصيدة لسعد الله بعد اندلاع الثورة حيث نظمها بالجزائر بتاريخ 24 ديسمبر 1954 وجاءت متأججة لهبا، مستبشرا بها. ومما جاء فيها:

.... وفم الإله مردد

لا ... لن تبـــــور

تلك المواكب والنذور

مدى العصـــــور

******

والشعب يسبح في الدمـــــوع

والبؤس يحتطب الجمـــــوع

والمبدأ الأسمى صريـــــع ...

بين المخالب والنجيـــــع

والصفحة السوداء خابية النجـوم

والسوط يلتهب الجســـوم

شوهاء طافحة الكلـــــوم

والتربة النضراء أضحت كالصريم

غبراء كالحة الأديـــــم

والريح عاصفة غضـــــوب

هوجاء تنفخ في الـــــدروب

فتحمل الأبواق أصداء الشـعوب

متأججـــــات باللهيب ...

مضمخـــات بالطيـــوب

******

والثائـــــــــرون ...

الثائـــرون على الطغاة يناضلـــون

والخائنـــون يقهقهون ويسخـــرون

ويرددون: "الخارجـــون المجرمـــون
سيحاكمون ويعدمـــــــــــون
والشعب تقهره الضرائب والسجون"

******

لكن مواكبـــــــــــنا تسير
كالريح تعبث بالخطير وبالحقيـــــــر
كالفواكه الحمراء تقذف بالسعيـــــر
كالمدفع الغضبان دمدم في جنـــــون
و(الذرة) الخرساء تزرأ في السكون
والكل يسخر بالقيود وبالســـــجون
ويردد اللحن الخصيـــــــــــب:
"نحن القساة على الطغـــــــــاة
نحن العتاة عليهم أمد الحيـــــاة
سنحطم الأصنام ... أصنام الجناة
ونمجد الأبطال...أبطال الكفـــاح
ونعيش للأوطان آمالا فســـــاح
ونرى بأعيننا الوجـــــــــوه
نشوان مبتسم الحـــــــدود
والموكب الوطني خفاق البنـــود
يهتز بالأحرار...أشبال الأسود" .....[19]

أبو القاسم سعد الله بمصر: الجمع بين طلب العلم والنشاط الثوري: من أجل استكمال دراسته انتقل أبو القاسم سعد الله إلى مصر فدخل القاهرة يوم 24 سبتمبر 1955 مرورا بتونس، وليبيا التي بقي بها ثلاثة أيام.[20] وأقام عند الشيخ البشير الإبراهيمي 15 يوما، تعرّف خلالها، ومن زياراته إلى الشيخ بعدها، على عدد كبير من الشخصيات العربية. منها مفتي مصر وشيخ الأزهر، والحاج أمين الحسيني زعيم فلسطين آنذاك. لكنه لم يكن يمارس عملا رسميا، إلا مراسلاته مع

جريدة البصائر التي خصصت له عمودا سمته "رسالة القاهرة". ودام ذلك إلى حين نجاحه في مسابقة الدخول إلى كلية دار العلوم في 12 ديسمبر 1955 والتي أشرف عليها الأستاذ عمر الدسوقي. والتي قال عنها أبو القاسم: "وقد أنقذني أمام اللجنة حفظ القرآن الكريم، وقراءة أبيات من قصيدتي "الطين"".

واصل أبو القاسم سعد الله دراسته بنجاح وبملاحظات (جيد) في أغلب امتحاناته إن لم نقل كلها، حتى حصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية في جويلية 1959 ثم سجل في قسم الدراسات العليا (الماجستير) تخصص أدب عربي. وبعد أن أكمل السنة بنجاح بدأ في اعداد أطروحته حول شعر الشيخ محمد العيد آل خليفة. وكان ديوانه مخطوطا عند الشيخ الإبراهيمي. كما سجل ثانية بقسم الماجستير أيضا تخصص الدراسات الأدبية والنقدية. وقد دخل امتحاناتها في السنة الموالية، ولم يكملها بسبب التوجه إلى الدراسة بالولايات المتحدة الأمريكية.

ورغم أن أطروحة سعد الله للماجستير قد أصبحت جاهزة للمناقشة، إلا أنه لم يناقشها هي الأخرى، وتركها مخطوطة عند الشيخ البشير الإبراهيمي، وطلب منه كتابة تصدير لها وطبعها، وكان له ذلك؛ فطبعها الإبراهيمي بمصر في كتاب منفصل بنفس العنوان وهو: "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري".

هذا، وقد كان أبو القاسم سعد الله خلال إقامته بمصر يسكن بالمعادي وهي ضاحية تبعد عن القاهرة بحوالي 20 كلم، وكان يقطن بعمارة "يملكها الخواجة نقولا وهو رجل من أصل يوناني أو أرمني، وتقع العمارة في شارع رقم عشرة، ولم أكن وحدي فيها بل سكنها أيضا الزملاء: بلقاسم الجبالي والتارزي الشرفي والتركي رابح ومحمد بلعيد، وأخوان ليبيان هما عبد السلام حمودة وقريبه عمر الزليطني، وأختان شقيقتان من السودان. وكنا نسكن بالإيجار عند الخواجة الذي كان أيضا يسكن نفس العمارة مع عائلته. ولكن هذا الوضع لم يكن مستقرا دائما. فقد كان الزملاء يغيرون سكناهم من وقت لآخر. وأخيرا سكنت في غرفة مستقلة لم يكن يزعجني فيها سوى صوت القطار الذي كان يمر تحت نافذتي فيعرقل دراستي أو يوقظني من نومي في أغلب الأحيان"[21].

مظاهر ثورية الطالب أبي القاسم سعد الله بمصر: إن التاريخ يذكر أن النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله قد بدأ بتونس سنة 1952، ثم تواصلت نشاطاته الثورية ومنها قصائده المليئة بعاطفته الصادقة. ومن ذلك ما جاء في قصيدته "الثورة" التي نظمها في خريف سنة 1955:

كان حلما واختمـــــــــار

كان لحنا في السنيـــــــــن

كان شوقا في الصـــــــــدور

أن نرى الأرض تثـــــــــور .... إلى قوله:

كان شوقا، كان لحنا، كان حلما

أن نرى الأرض تثـــــــــور

أن نرى الأفيون نارا في العيون

غير أن الليلة الغراء شفت عن بطولة

والنداء الحر قد هز الرجولـــــــة

والشتاء السادر المقرور قد عاد ضرام

والولاء الوافر المخدور قد عاد انتقام.

أما قصيدة "ليلة الرصاص" فقد كانت هي الأخرى بعد مرور سنة عن الثورة، ومما جاء فيها:

وكان اختمار وكان ضباب

وكانت زلازل رغم المطر

وكانت قنابلنا قاصفـــات

وكان الرصاص يجيب القدر

وخضنا المدائن في لحظة

مطوقة بالردى والخطـــر

ونامت (فرنسا) على فوهة

معبأة بالدمار الأشـــــر

******

وباتت (جزائرنا) الفاضلة

دخانا وزحما وعطرا ودم

وغيم الشتاء يجللـــــــها

سوادا وجوف الرغام حمم

فحينا نجفف جدرانـــــها
من العرق الراعف المستحم
وحينا نردد: أرواحـــــنا
فداء الجزائر حتى العــدم

******

ورددت الأرض أنبـــاءنا
صباحا، تشق الأثير الطلق
فتحمل للغرب جولاتنـــا
وتحمل للشرق ضوء الفلق
فتدري العروبة أنا لهـــا
هنا في الجزائر أرض العرق:
حماة يموتون من أجلـــــها
ويفدونها بالشباب الـــورق

******

وثارت (فرنسا) وأذنابـــها
لتثأر للشرف المستبـــــاح
ونادت مجالسها في جنون
نريد (العصاة) بحد السلاح
وصفق (كوتي) يريد الوزير
ودمدم (منديس): يا للوقاح!
أليس الجزائر هي فرنسا
مذ احتلها جيشنا واستباح

******

وكانت كتائبنـــا الفاتحـة
ترد الجواب على الأغبيـاء

فيغشاهم الوقر من وقعـــــه
ويرديهم الموت عبر الدماء
"بلاد الجزائر مهد الغـــزاة
من العرب الخلص الأقوياء
وهذا الرصاص يحييـــــهم
ألا تسمعون هتاف الولاء!؟" [22]

1- تأسيس الرابطة الجزائرية لطلبة المشرق العربي ونشاطات سعد الله بها: بالنسبة لتأسيس الرابطة، يذكر الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الطالب بشير كعسيس زاره وسلمه دعوة لحضور اجتماع رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي وهي: "تنظيم أنشئ ليضم طلبة الجزائر المهاجرين في طلب العلم في مصر وسوريا والعراق والكويت، وقد حدث تنافس في أول الأمر بينها وبين (الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين) الذي تأسس في فرنسا سريا سنة 1955 ثم تدخلت قيادة جبهة التحرير واندمج الطلبة كلهم في اتحاد واحد"[23].

تأسست رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي يوم 14 أوت 1956 بنادي الطلبة الفلسطينيين وتبرع يومها ياسر عرفات للرابطة بخمسة جنيهات وكانت تعني الكثير آنذاك. وتم انتخاب لجنة تحضيرية تتكون من سبعة أعضاء مهمتها اعداد مهمات الرابطة التي ستنتخب في المستقبل[24].

وعن الطلبة الجزائريين بمصر قال أبو القاسم سعد الله: "كان الطلبة يشكلون شريحة هامة في الجالية الجزائرية في القاهرة، وكانوا على وعي سياسي كبير، أولا لأن معظمهم عانوا من ظلم الاستعمار الفرنسي قبل خروجهم من الجزائر... وثانيا لكثرة عددهم ونفوذهم في دوائر الطلبة العرب مما قادهم إلى التفكير في تكوين منظمة تجمعهم فكانت "رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي".

كما سبق وأن أشرنا، فإن أبا القاسم سعد الله كانت له نشاطات كثيرة شارك فيها كطالب باسم الجزائر، ومن تلك النشاطات زيارته في أول رمضان الموافق ليوم 12 أفريل 1956 رفقة عثمان سعدي وعبد القادر نور وأربعة طلبة جزائريين آخرين من أعضاء الرابطة إلى بيت الأديب طه حسين من أجل "لفت نظره إلى القضية الجزائرية وأدب الجزائر العربي بالذات ولكنه فاجأنا

بقوله: أنه لم يتصل بأي إنتاج جزائري غير رواية مولود معمري (الربوة المنسية) التي كتب عنها"[25].

وبعد أن تم استئناف الدراسة بالجامعات المصرية بعد توقفها إثر العدوان الثلاثي على مصر نظم نادي طلبة كلية العلوم مهرجانا خطابيا وشارك فيه جمع من الطلبة، وإذا بمنشط المهرجان "طلع علينا وقال: الآن سأقدم لكم رجلا من أبطال جيش التحرير الوطني الجزائري والثورة الجزائرية العظيمة التي لقنت الاستعمار دروسا في التضحية والفداء والأخلاق...واسترسل في الحديث، وكنت أتشوّف وأتطلّع فإذا به بلقاسم سعد الله، ألقى خطابا حماسيا قاطعته التصفيقات عدة مرات، وقررت ألا أترك المكان حتى أصافحه، وكان لي ذلك"[26].

ومن أجل التعريف بالجزائر وثورتها كان أبو القاسم سعد الله يكتب لمختلف المجلات العربية. فكان يكتب لمجلة العالم العربي التي كان يديرها السيد محمود أمين العالم والذي خصص له ركنا خاصا بالمجلة تحت اسم "المغرب العربي في التاريخ"، كما كان يكتب في مجلة الآداب البيروتية ومجلة الرسالة ببغداد.

وإضافة إلى هذا، فإننا نجد من النشاطات الثورية التي قام بها أبو القاسم سعد الله بمصر ما جاء على لسانه في الكلمة التالية: "وخلال إقامتي في مصر شاركت باسم الجزائر، بالإضافة إلى الدراسة، في بعض الأنشطة الطلابية، كأسبوع شباب الجامعات بالإسكندرية، وأسبوع جمع التبرعات للثورة الجزائرية، والمقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثي، والتطوع في جيش التحري الجزائري، ونشاط الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وتنظيم مكتبة الحكومة المؤقتة، ونشر المقالات والقصائد..."[27]، ليس هذا فحسب، وإنما ترك سعد الله النقاط المتتالية يعني هناك أعمالا أخرى قام بها ولم يسجلها هنا، وهن تلك الأعمال نذكر ما جاء على لسانه أيضا: "... وبعد وصولي إلى القاهرة راسلت البصائر التي أصبح الشيخ المدني رئيسا لتحريرها مكان الإبراهيمي، وقد شملت مراسلتي نشاط الشيخ الإبراهيمي في القاهرة، وما يقال عن الجزائر في مصر والشرق، ونشرت البصائر بريدي تحت عنوان "رسالة القاهرة"[28].

وقد كان سعد الله شديد الاطلاع على الوضع من خلال علاقته بالقادة السياسيين لجبهة التحرير الوطني الذين كان يلتقيهم مرارا وربطته ببعضهم علاقات خاصة جدا وصلت حد المرافقة في كثير من النشاطات والزيارات إلى السينما والنوادي، على غرار الإبراهيمي والمدني[29]، وكذلك

عبد الحميد مهري، وفرحات عباس وعبد الرحمن كيوان... ومما قاله في هذا المجال: "وكثيرا ما كنت ألتقي بأعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير... وقد حضرت إعلان الحكومة المؤقتة التي تشكلت برئاسة فرحات عباس في فندق الكونتينتال بالقاهرة والتقيت بكل أعضائها، وزارنا في النادي وفد جبهة التحرير وأخذنا معه الصور الجماعية"[30].

أما عن الإبراهيمي فقال أبو القاسم سعد الله: "...لم أكن أعرف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قبل القاهرة إلا عن طريق البصائر والسماع...وحين عزمت السفر إلى المشرق للدراسة حملت إلى الشيخ الإبراهيمي رسائل من الشيخين العربي التبسي وأحمد توفيق المدني. ولا أدري ما الذي جرّأني على النزول عند الشيخ الإبراهيمي في مكتبه بمركز جمعية العلماء بالقاهرة ليلا، حيث أقمت عنده خمسة عشر يوما... وكنت من جهتي أحضر نشاطه الإعلامي والسياسي وأتجول معه في شوارع القاهرة وأشاهد معه الأفلام..."[31].

ومما زاد سعد الله دعما في فهم أحداث الثورة الجزائرية أكثر- إضافة إلى علاقته الخاصة مع هؤلاء الفاعلين- هو الاطلاع اليومي على الصحافة المحلية بمصر وما تنشره من أحداث الثورة الجزائرية وخاصة وأن مصر كانت مدعمة للثورة وناصرة لها، وكذلك ما تنشره تلك اليوميات المصرية من مقالات دولية تعالج الوضع الثوري بالجزائر سواء كأحداث تفصيلية من طرف صحفيين أجانب، أو كمقالات تعالج الوضع بالجزائر من طرف كتاب عالميين. ومتابعته كذلك لصحيفة المقاومة والمجاهد الصادرتين عن جبهة التحرير الوطني واللتين كانتا تصلاه هو الآخر وكثيرا ما كان يوزع أعدادا منهما على زملائه الطلبة. هذا إضافة إلى الصحف والمجلات الأخرى التي كان يطالعها سعد الله مثل صحيفة روز اليوسف، ومجلة الآداب التي كان يراسلها أيضا، والتي نشرت له أعمالا تعرف بالجزائر وبأدبها وتاريخها وحضارتها وتاريخ الاستعمار فيها مثل مقالة المروحة التي نشرتها في العدد الخامس من السنة الرابعة 1956، وغيرها كثير. هذا إضافة إلى بعض صحف العراق وتونس كما مر بنا، وكذلك صحيفة العالم العربي. واتصاله بصحافة الجمعية البصائر والشهاب. كما كان يسجل فقرات للصحافة عن الجزائر ونضالها مثلما فعل يوم 28 جويلية 1956م حين كتب كلمة لوفود الطلبة العرب المشاركة في أسبوع شباب الجامعات بالإسكندرية (22 جويلية- 01 أوت 1956م)، ومنحها للطالبة ليلى الشيال عن كفاح المرأة الجزائرية، كما

نشرت له جريدة الأسبوع قصيدة (العمالقة). وفي هذا قال سعد الله: "هناك ألقيت كلمة عن الجزائر وقصيدتين"[32].

وبمناسبة مؤتمر الطلبة العرب، عمل سعد الله على كتابة بيان باسم الطلبة استشار فيه أحمد توفيق المدني ومنور مروش وعبد الرحمن مهري وعثمان سعدي والتيجاني هدام، ثم أنجزه تحت عنوان "ما يجب أن تعرفه عن الجزائر"، وطبعه في أكثر ألف نسخة وقام الطلبة بتوزيعه، كما رفعت راية الجزائر عالية بمبنى كلية التجارة مع رايات الدول العربية المشاركة، أما أبو القاسم سعد الله فقد تولى توزيعه بنفسه يوم 27 أكتوبر في أهم شوارع القاهرة مثل شارع فؤاد والمناطق المحاذية له، كما تولى توزيعه بنفسه أيضا على أساتذته بالكلية في اليوم الموالي 28 أكتوبر 1956م، كما شارك في مؤتمر "قضايا الوطن العربي" المنعقد في الغرفة التجارية في بداية ديسمبر 1956. وتلكم سعد الله باسم الطلبة الجزائريين وهو من قرأ البيان الختامي والتوصيات التي خرج بها المؤتمرون[33].

وهكذا، فبالرابطة أصبح سعد الله كما قال عنه رفقاؤه: "الشخص الوحيد الذي كان يحمل هموم الجزائر وهو طالب، في كل الندوات واللقاءات الطلابية والمحاضرات، لابد أن تجد سعد الله مساهما وخطيبا"[34]، كما أصبح فيما بعد ابتداء من 19 أكتوبر 1957م مسؤولا عن اللجنة الثقافية للرابطة، واتفقنا نحن الطلبة "محمد بلعيد والمرحوم عبود عريوش والأخ محمد طالب وهو لا يزال على قيد الحياة أنه عندما نجتمع في أول جلسة نرشحوه للرئاسة، وكلفوني بأن أستشيره، وقبل الاجتماع طرحت عليه الموضوع فسكت، وظننت أنه دليل الرضا. وعند الاجتماع كان سعد الله أول المتكلمين فقال لنا: إخواني أنا أرجوكم أن تعفوني من أية مسؤولية مباشرة، أنا الآن مسؤول عن اللجنة الثقافية أرجوكم ساعدوني عليها، أما كل مسؤولية مباشرة فأنا بريء منها وبعيد عنها. وكذلك كانت الحال حيث أصبح مسؤولا عن الشؤون الثقافية"[35].

كما كان سعد الله- إضافة إلى مهامه هذه والكتابة لمختلف الصحف والمجلات وأيضا تسجيل فقرات لإذاعة صوت العرب من القاهرة، ويدعو المحاضرين من رجال السياسة والثقافة من الجزائريين بمصر ومن أجل الجزائر ونضالها ربط علاقات حتى مع من كان يراهم متفتحين من مثل محمد أبو الفتوح أطال الله عمره وكذلك الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف. إضافة إلى الشيخ عبد الكريم الخطابي والطلبة لإلقاء محاضرات توعوية ومعرِّفة بالقضية الجزائرية وبتاريخ الجزائر وحضارته، كما كان ينشر بالمجلة الحائطية للطلبة. هذا إضافة إلى تأسيسه مجلة خاصة بالطلبة غير

المجلة الحائطية وسهر عليها وحققت نجاحا هاما في التوعية الطلابية للثورة والنشاط الطلابي بصفة عامة[36].

2- نشاط أبي القاسم سعد الله مع جبهة التحرير الوطني: تجدر الإشارة إلى أن كل نشاطات الطلبة الجزائريين بمصر كانت تتم آليا باسم جبهة التحرير الوطني، باعتبار أن كل الطلبة، وهو منهم، هم أعضاء في رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق (فرع القاهرة).

كما اشتغل أبو القاسم سعد الله في مكتب جبهة التحرير الوطني كضارب على الآلة الراقنة، وقال في هذا: "...إذ بعد الانتهاء من الدراسة أي في 1959 اشتغلت في مصالح جبهة التحرير بالقاهرة، وكنت من الذين يرقنون باللغة العربية، خصوصا في مصالح وزارة الثقافة التي كانت حديثة العهد.كما اشتغلت في هذه الوزارة بالمكتبة التابعة للحكومة المؤقتة والتي كانت تضم بالخصوص الكتب المهداة إليها".[37] وكان سعد الله قد تحصل على شهادة في هذا التخصص بتاريخ 15 أكتوبر 1956 وهو تاريخ سحبه الشهادة نهائيا.[38] وكذلك مكلفا بمكتبة الحكومة المؤقتة، حيث جاء على لسان السيد محمد درغام مايلي: "تعارفت مع ابي القاسم سعد الله بالقاهرة سنة 1958م، وتزامنا بالحكومة المؤقتة 1959-1960 تاريخ التحاقه بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان هو (سعد الله) مكلفا بالمكتبة أما أنا فكنت مكلفا بشؤون الطلبة إلى جانب المرحوم تلمساني بوزيان"[39]، هذا وقد كلف أحمد توفيق المدني مرة أبا القاسم سعد الله أن يعدّ نشيدا للجزائر بعدما كان النشيد الجزائري هو نشيد مفدي زكرياء "فداء الجزائر روحي ومالي ألا في سبيل الحرية"، وفعلا نظم أبو القاسم سعد الله ثلاثة قصائد- أناشيد وسلمها للمدني الذي أعجب بها: "ثم سلمت الأستاذ المدني الأناشيد الثلاثة التي أعجب بها، وقال إنهم سيلحنونها ويرسلونها إلى الجزائر وإلى صوت العرب...ولا أدري ما مصير هذه الأناشيد ولا أملك منها نسخا رغم أن هناك أناشيد في ديوان الزمن الأخضر"[40].

وعند سفره باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 1960 من أجل استكمال دراسته هناك وزع أبو القاسم سعد الله مكتبته على بعض الطلبة بمصر وعلى مكتبتهم التي طالما سهر على تنظيمها منذ تعيينه على رأس لجنة الشؤون الثقافية للرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين فرع القاهرة كما مر بنا. وفي هذا قال: "وأذكر أنني عشية سفري (يقصد إلى الو.م.أ. في نوفمبر 1960) وزعت

ما عندي من كتب على بعض الطلبة ومكتبتهم في النادي. وربما على مكتبة الحكومة المؤقتة التي كانت بمقرها بجاردن سيتي، والتي كنت أعمل على تنظيمها في نطاق وزارة الثقافة"[41].

3- تجند سعد الله للمقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثي على مصر: وبفعل الرغبة الثورية التي كان عليها ونصرته لقضايا العرب والمسلمين، وكرد لجميل مصر لدعمها للثورة، وكذلك لاحتضان الطلبة الجزائريين تجند أبو القاسم سعد الله للتطوع رفقة مجموعة من الطلبة الجزائريين يوم 01 نوفمبر 1956 "بعد التعليمات الصادرة من جبهة التحرير الوطني عن طريق رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة"[42]، فتطوع سعد الله وشارك في التدرب على السلاح والدفاع عن مصر إثر العدوان الثلاثي عليها في 30 أكتوبر 1956م، وأعطى رقمه الهاتفي لمجموعة من الطلبة كانوا يسعون إلى تنظيم فرقة جزائرية في جيش التحرير المصري[43]، ثم واظب على حضور التدريبات العسكرية بنادي المعلمين بالقاهرة، وتدرب على الجري والرمي بالرصاص من البنادق السوفيتية الصنع حيث يذكر سعد الله أنه يوم 13 نوفمبر 1956م رمى 05 رصاصات من السلاح الروسي المذكور، ومن بين الجزائريين الذين اختاروا التطوع بالجيش المصري نذكر- إضافة إلى أبي القاسم سعد الله- مولود الخطيب، جلول الخطيب، محمد شبيلة ...وآخرون"[44].

خـــاتمـــة: عاش أبو القاسم حياة نضالية يعتز ويفتخر بها كطالب وكجزائري، ولذا وجدنا كل من عاصره إلا وذكره بخير ذكرا صادقا حقيقيا؛ فقد كان الطالب الجاد في دراسته والمتفوق فيها، وهناك من نصحه بأن يبقى في مصر لمنافسة طه حسين على الريادة الأدبية في مصر والوطن العربي، وهو الطالب الساهر على مصالح الطلبة، والمجاهد بين زملائه الطلبة، وقادته السياسيين، للتعريف بتاريخ الجزائر وحضارتها، الشيء الذي جعله يعرف بها من خلال تراثها الأدبي تحت عنوان تاريخ الأدب الجزائري الحديث، والذي سرعان ما جعله يتوسع فيه إلى تناول كل تراث الجزائر الثقافي الذي قاده في نهاية الأمر إلى كتابة موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، التي كان هدفه الأساسي منها هو: التعريف بتراث وتاريخ الجزائر ودورها في العلم والحضارة... وأنها ليست بلد الحروب أو الصراعات مع الغزاة والمستعمرين، وإنما أراد أن يوضح للجزائريين أنفسهم، وللعالم أجمع، أن الجزائريين صناع حضارة، ولكن ربما لم يكتبوها. وهو ما يعيبه على الجزائريين وكان ينصحنا كطلبة بقوله: اكتبوا وقيدوا ما تصنعون وما تفعلون، وما يمر بكم من أحداث يومية محلية أو عالمية، فإنها ستصبح ذات فائدة لكم ولوطنكم يوما ما.

هذا وأننا نشير هنا إلى أن الهدف من وراء هذا المقال كان من أجل تتبع النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله في تونس ومصر من أجل انجاح الثورة الجزائرية التي تعني له الاستقلال وتحقيق مقدساته الثلاث: الوحدة الجزائرية، الإسلام، والعروبة[45]، كما نرجو أن يكون هذا الجهد فاتحة للمزيد من الدراسات والبحث في هذا الموضوع.

الهوامش:

1- عبد الرزاق قسوم، شهادة في المؤرخ الراحل الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله" بمناسبة التأبينية المنظمة من طرف قناة الشروق تي في (TV) الجزائرية الشيخ أبي القاسم سعد الله، ، يوم 22 ديسمبر 2013م.

2- لقاء خاص مع الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله ببيتي بالمسيلة يوم 23 ديسمبر 2011. وقد أراني حينها نسخة مصورة من رخصته للسياقة التي تشير إلى التاريخ المذكور. بعد أن تجولنا في المدينة، وقضى بعض الأمور التي جاء من أجلها، وتحدثنا كثيرا عن المنطقة وعن تاريخها وعلمائها. ونوى زيارة موقع قلعة بني حماد، لكن تأخر الوقت جعله يغير رأيه ويعود إلى بوسعادة يومها عند أصهاره من عائلة ابن سالم. وهنا أشير إلى أنني تتلمذت في بداية الأمر على كتب الأستاذ أبي القاسم سعد الله قبل أن يدرسني منذ 2003 خلال مرحلة الماجستير، ويشرّفني بالإشراف على أطروحتي في التاريخ المعاصر، ثم مواصلة الإشراف على أطروحة الدكتوراه إلى غاية وفاته سنة 2013 رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه.

3- خلاصة هذه النبذة عن حياة سعد الله حتى عودته من تونس إلى الجزائر، مأخوذة من ثلاثة مصادر أساسية هي: لقائي الخاص معه ببيتي المشار إليه، إضافة إلى علاقتي به بصفة مباشرة مدة 10 سنوات 2003 – 2013، وكذلك مقاله: "نبذة عن حياتي"، بكتابه : أفكار جامحة ضمن سلسلة أعماله الكاملة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، صص177– 179. إضافة إلى المصدر الهام وهو: مراد أوزناجي، حديث صريح مع أ. د. أبو القاسم سعد الله، منشورات الحبر، 2008. وهو كتاب هام جدا وفيه كثير من حياة أبي القاسم سعد الله وفلسفته في الحياة.

4- من المفيد هنا توضيح الجمعيات الطلابية بالجزائر وعلاقاتها ببعضها وبجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، وكذلك برابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق اللتين نشط فيهما أبو القاسم سعد الله، لكن يصعب علينا ذلك هنا بسبب خصوصية النشاط (ملتقى). ولذا أرجو من كل متطلع لذلك العودة إلى: أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوره (مخطوطة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، لا سيما ص 165 وما بعدها و ص 231 وما بعدها. وكذلك: لخضر عواريب، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927 – 1955، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مخطوطة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007، لا سيما ص52 وما بعدها.

5- أبو القاسم سعد الله، حوارات (مجموعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله)، عالم المعرفة، 2011، ص 221، .222

6- مصطفى عبيد، "أستاذي الدكتور أبو القاسم سعد الله"، جريدة البصائر، ع 686، 04 – 10 ربيع الأول 1435 هـ/ 06 – 12 جانفي 2014، ص .16

7- محمد بلعيد، شهادة في المؤرخ الراحل الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله" بمناسبة التأبينية المنظمة من طرف قناة الشروق تي في (TV) الجزائرية الشيخ أبي القاسم سعد الله، ، يوم 22 ديسمبر 2013م.

8- شهادة عبد القادر نور للمؤلف يوم الخميس 27 مارس .2014

9- المصدر نفسه. وكذلك: مراد أوزناجي، مصدر سابق، ص 24. تأسست جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين بعد أن رأى الطلبة الجزائريون ضرورة الحاجة إليها لتنظيم أنفسهم والمشاركة في الحياة الطلابية والفكرية والسياسية في إطار القوانين السائدة. وكان ذلك "سنة 1934 فأعلنوا عن رسمية هذه الجمعية بعدما قضت سنتين في التمهيد". جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، مجلة الثمرة الثانية 1947– 1948، عمر النجار (كاتب الجمعية)، "تاريخ الجمعية"، مطبعة التليلي، تونس، د. ت، ص 09. والمقصود بهذين السنتين هما 1932– 1934 وهي فترة الإرهاصات الأولى لتأسيس هذه الجمعية لاسيما بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 وزيارة محمد البشير الإبراهيمي إلى تونس سنة 1932 . وقد كان الطلبة خلال هذين السنتين يمارسون النشاط الصحفي في كبريات الصحف التونسية مثل الزهرة والنهضة... فشعر الطلبة بالحاجة إلى تأسيس الجمعية. إلى أن أقدمت لجنة أولية من الطلبة الجزائريين هؤلاء وسمت نفسها (جمعية الطلبة الجزائريين للمسجد الكبير. في طريق الانشاء) سنة 1934 وقدمت طلبا إلى الحكومة التونسية بغرض تأسيس الجمعية. وكان رد الأمانة العامة للحكومة بالموافقة بتاريخ 01 جوان 1934. وبعدها "في النصف الثاني من السنة الموافقة للتأسيس 1934 أعلن عن تشكيل وتأسيس جمعية الطلبة الجزائريين، وظهرت للوجود بصفة رسمية بعد سنتين من الانتظار والترقب، وأسندت الرياسة إلى "الشاب الزيه المرحوم الأديب الشيخ أبو رنان الدريدي كرئيس مكتبها الإداري الأول ونائبه الأديب الفاضل صديقنا الشيخ المهدي أبو عبد الله مفتي بجاية"". عامر مريقي، جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية (مخطوطة)، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2011، ص .111

10- كان للزيتونة آنذاك فرعان بالجزائر يتبعان برنامجه الرسمي وهما معهد ابن باديس والمدرسة الكتانية، وكان عدد الطلبة الجزائريين بتونس قد بلغ خلال الموسم الدراسي 1949– 1950 حدود 1200 طالب. وقد ذكر أحمد محساس أن عدد الطلبة الجزائريين سنة 1954 قد بلغ: 1000 طالب

بالجامعة الزيتونية، و120 طالب بجامع القرويين، و150 طالبا بجامع الأزهر. في حين أشارت الصحف التونسية خلال الموسم الدراسي 1951- 1952 إلى أن عدد طلبة الجزائر الوافدين على الزيتونة من الممتحنين قد بلغ عددهم 90 طالبا. ينظر: خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900- 1956، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج 02، ص ص951-.955

11 - محمد بلعيد، مصدر سابق.---- 12 - مراد أوزناجي، مصدر سابق، ص 24، .25

13 - أبو القاسم سعد الله، مجموعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر (ديوان سعد الله)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص57.-- - 14- محمد بلعيد، مصدر سابق. واسم المطار موجود مع القصيدة في ديوان سعد الله المذكور سابقا.

15- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، مصدر سابق، ص57- 60.--- 16- نفسه، ص87- .90

17- نفسه، ص91- 93. وذكر سعد الله أن هذه القصيدة نشرتها جريدة البصائر في عددها رقم 264 الصادر في 26 مارس 1954.

18- مصطفى عبيد، مرجع سابق، ص 16.--- 19- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص ص 119 - 121.

20- كان ذلك بسبب أن جواز سفره كان يحمل "الجمهورية الفرنسية". مما اضطره إلى التأشيرة للدخول إلى القاهرة التي وصلها في التاريخ المذكور.-- - 21- أبو القسم سعد الله، مسار قلم، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج 01، 1956- 1958، ص 09، 10.

22- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، مصدر سابق، صص 177- 179. وهي قصيدة قال عنها سعد الله بأنها "قصيدة- نشيد كتبتها بعد وصولي إلى القاهرة بقليل (وصلت إليها يوم 24 سبتمبر 1955)، وأرسلت بها إلى الدكتور سهيل إدريس مدير مجلة (الآداب) البيروتية لينشرها، ولكنها لم تنشر، و(كوتي) اسم رئيس جمهورية فرنسا عندئذ، و(منديس) هو منديس فرانس رئيس وزرائها. ويبدو أن القصيدة كتبت بمناسبة الذكرى الأولى للثورة.

23- أبو القسم سعد الله، مسار قلم، مصدر سابق، ص139/ هـ02، 03.-- 24 - شهادة عبد القادر نور للمؤلف، مصدر سابق.

25- أبو القسم سعد الله، مسار قلم، مصدر سابق، ص 11، 12.--- 26 - محمد بلعيد، شهادة، مصدر سابق.

27- أبو القاسم سعد الله، مسار قلم، مصدر سابق، ص 10.---- 28 - نفسه، ص 06.

29- شهادة عبد القادر نور للمؤلف، مصدر سابق.--- 30 - أبو القسم سعد الله، مسار قلم، مصدر سابق، ص 12، .13

31- نفسه، ص 11، 12.---- 32 - نفسه، ص 11، 12--- 33 - نفسه، ص 254.

34 - عبد القادر نور، شهادة في المؤرخ الراحل الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله" بمناسبة التأبينية المنظمة من طرف قناة الشروق تي في (TV) الجزائرية الشيخ أبي القاسم سعد الله، يوم 22 ديسمبر 2013م.--- 35 - شهادة محمد بلعيد، مصدر سابق.

36 - عبد القادر نور، شهادة للمؤلف، مصدر سابق.---- 37 - مراد أوزناجي، مصدر سابق، ص .57

38 - أبو القسم سعد الله، مسار قلم، مصدر سابق، ص 200.--- 39 - محمد برغام، شهادة في المؤرخ الراحل الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله" بمناسبة التأبينية المنظمة من طرف قناة الشروق تي في (TV) الجزائرية الشيخ أبي القاسم سعد الله، يوم 22 ديسمبر 2013م.

40 - أبو القسم سعد الله، مسار قلم، 1956 - 1958، ج 02، ص 69، 69 /هـ 01..

41 - أبو القسم سعد الله، مسار قلم، ج 01، مصدر سابق، ص 126 وما بعدها.--- 42 - مراد أوزناجي، مصدر سابق، ص 126.

43 - أبو القسم سعد الله، مسار قلم، ج 01، مصدر سابق، ص 219.--- 44 - أبو القسم سعد الله، مسار قلم، ج 01، مصدر سابق، ص 224 وما بعدها.

45 - كتاباته الأخيرة كلها تصب في هذا الإطار وكأنه كان يوصي بالتمسك بهذه المقومات التي بها نجاة الجزائر، ولمن يريد الاستزادة في هذا نوجهه لقراء كتبه حصاد الخريف، في مجادلة الآخر، حاطب أوراق، أفكار جامحة، قضايا شائكة، في الجدل الثقافي، مسار قلم.... ففيها كثيرا من فكره وما يريد الوصول إليه. ولكنه دعا إليه على الأقل.

Resume: Revolutionary activity of Abu al-Qasim Saadallah

Abu Al-Qasim Saadallah, lived a rich life scientific activity, and also he had a great activity in The Algerian revolution 1954 –1962. In this study, we tried this activity during the period 1947 –1960. Any Since joining in Tunisia in 1947 To exit from Egypt And joining the United States of America in 1960.

In this Article, we tried Study the following problem: What are the revolutionary activities of Abu Al-Qasim Saadallah 1947 –1960?